ولذلك فانها كانت ، بقدر ما تكبر وتمتد ، بقدر ما تستشعر ان الثوب المفصل لها ، حسب قوانين السياسة اللبنانية ، يضيق عنها ويكاد يخنقها ، وانها ، ولو كانت تسيطر على « ٧٠ بالمئة من الارض و٨٠ بالمئة من الشعب » (كما كان يقول جنبلاط عام ١٩٥٨) فانها عاجزة عن ترجمة هذا الوزن ما لم تتم الاطاحة بنظام التمثيل السياسي الطائفي ٠

لقد وجد جنبلاط نفسه على رأس حركة متناقضة مع التركيبة اللبنانية ٠ وكانت له ـ ولنا ، وللبنان المستقبل ايضا ـ مصلحة اكيدة في نسفها واعادة صياغة العلاقات السياسية على قاعدة اكثر ديمقراطية : الغاء الطائفية السياسية مطلب جنبلاطي منذ ثلاثين سنة !

بهذا المعنى كان جنبلاط عنصر تثوير للوضع اللبناني ولذلك كانت تبذل المحاولات الحثيثة لاستعادته (تصريحات صائب سلام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣) بصفته ابن العائلة العريقة ، شرط ان يترك ، على بوابة الحكم ، برنامج نقض نظام الطائفية السياسية وكل محاولات تزعم الشارع الاسلامي والتعبير عن مصالح القوى الديمقراطية في الوسط المسيحي ٠

« ان مثال الثوري والعربي الذي يشير اليه كمال جنبلاط من أجل الحاضر والمستقبل موضوع في سياق استمرارية تاريخ السكان الجبليين ٠٠ كذلك فان بعض عبارات جنبلاط تستعيد صدى تطلعات باقي العالم العربي وثقافته ٠٠ ان منطقة الشوف تبدو في قلب التاريخ اللبناني ٠٠ كما يبدو كمال جنبلاط في قلب قومه وطائفته ٠ انه يشهد من أجل حقيقة لبنانية ٠٠ ووجه اخر للبنان » (١٥)٠

هذا الكلام الواضح للمؤرخ دومينيك شيفالييه (صاحب اهم كتاب حتى اليوم عن تاريخ جبل لبنان في القرن التاسع عشر ٠٠) يحتوي على عدد من المفاهيم لا بد من تظهيرها :

١ ـ هناك تقدير خاص لهذه الزعامة الخاصة : زعامة الدروز وزعامة الجبل٠

٢ ـ هناك اشارة واضحة الى كون دروز الجبل ، تاريخيا ، امتداد للتطلعات العربية وللثقافة العربية ٠

٣ ـ هناك تأكيد على الدور الخاص للجبل في التاريخ اللبناني ٠٠ هذا الكيان الذي ركب اصلا حول الجبل ٠

٤ ـ هناك ادراك للخصوصية الجنبلاطية القادرة في وقت واحد على ان تشهد للبنان « اللبناني » وللبنان العربي ٠

والحقيقة ان هذه المفاهيم صحيحة تماما ويمكن اكتشافها من اية قراءة متأنية بعض الشيء لكتابات جنبلاط ٠٠ وممارساته ٠